بيعة الغدير في نهج البلاغة

قراءة تأويلية

Al-Ghadeer Fealty Swearing in The Road of Eloquence

Elucidatory Reading

أ.د. عبد الكاظم محسن الياسري

جامعة الكوفة . كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Abid Al-Kadhim M. Al-Yasiri

Department of Arabic

College of Education for Girls

University of Kufa

ملخص البحث

تمثل بيعة الغدير حدثاً مهماً وانعطافاً تاريخياً واضحاً في حياة الامة الاسلامية قد وردت اشارات اليها في القران الكريم وفي احاديث الرسول ﷺ.

وفي هذا البحث اعتمدنا على طائفة من النصوص المتوافرة في كتاب نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام التي اشارات الى حادثة الغدير بصورة مباشرة او غير مباشرة ومحاولة قراءتها قراءة تاويلية.

فجرى في هذا البحث استنطاق تلك النصوص التي اختيرت وبيان مافيها من اشارات الى حق الإمام علي عليه السلام في ولاية الامر بعد الرسول ﷺ.

. . . Abstract . . .

Al-Ghadeer fealty swearing purports an important event and evident historical transition in the life of the Islamic nation. There are certain references to such an events in the Glorious Quran and the prophet speeches (May Allah pray to him and his benevolent and chaste posterity).

The present research paper hinges upon a constellation of texts in The Road of Eloquence for Imam Ali (Peace be upon him) taking mention of the Ghadeer incident whether implicitly or explicitly and endeavours to explicate them.

Such chosen texts are set under the explication lens to fathom the hints that manifest the sheer right of Imam Ali to ascend the throne after the Messenger of Allah (May Allah pray to him and his benevolent and chaste posterity).

... المقدمة ...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد واهل بيته الطاهرين وصحبه المنتجبين. السلام عليك يا امير المؤمنين وقائد الغر المحجلين وعلى أهل بيتك الطاهرين.

تمثل بيعة الغدير حدثاً تاريخياً مهماً في حياة الامة الاسلامية، وقد تم هذا الحدث الكبير الذي يمثل انعطافة تاريخية مهمة في شهر ذي الحجة المبارك في غدير خم بعد منصرف الرسول ﷺ من حجة الوداع.

جمع الرسول المسلمين من المهاجرين والانصار وعهد أمامهم بولاية العهد من بعهدهِ إلى أمير المؤمنين وأشهد على ذلك الصحابة من المهاجرين والانصار وأبلغهم بما أمر به الله سبحانه وتعالى وطلب منهم أن يبلغ الحاضر منهم الغائب. وأطلق قولته المشهورة ((**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**)).

لكن الأحداث جرت في غير ماهو مرسوم لها وحدث التفاف على وصية الرسول ﷺ واختلف الناس في الأمر بعد وفاة الرسول على الرغم من وضوح هذا الأمر بصورة لا يتطرق إليها الشك اذ وردت الاشارة إليها في القرآن الكريم وفي حديث الرسول ﷺ. وهما المصدران اللذان يعتمد عليهما المسلمون في الاحكام التشريعية وكل ما يتصل ببناء الدولة الاسلامية وحماية الدين الاسلامي.

يعد البحث الحالي محاولة لقراءة بعض النصوص من مصدر لا يقل أهمية عن المصدرين السابقين هو كتاب (نهج البلاغة) للإمام علي بن ابي طالب عليه السلام.

ان هذا الكتاب يمثل تراث أمير المؤمنين القولي باقسامه الثلاثة. ومما لا شك فيه ان الإمام لابد ان يشير إلى هذه لحادثة الكبيرة في تراثه الأدبي. ومن هنا فقد وجدت طائفة من النصوص تشير إلى هذه الحادثة التاريخية بصورة مباشرة او غير مباشرة.

ولان ما ورد في نهج البلاغة هو كلام الإمام عليه السلام الذي عبر فيه عن كثير من المسائل في الدين والدنيا فان اعتماده مصدراً لاثبات هذه البيعة له أهمية كبيرة ذلك أن ما ورد في هذا الكتاب من الناحية التاريخية يمثل مصدراً معاصراً لما جرى من احداث في تلك الحقبة الزمنية. وقد جرى في هذا البحث استنطاق النصوص التي اختيرت وبيان ما فيها من اشارات إلى حق الإمام عليه السلام في ولاية الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد بذلت فيه ما وسعني من جهد والله ولي التوفيق والسداد.

بيعة الغدير

مدخل

تمثل بيعة الغدير انعطافة كبيرة في تاريخ الامة الاسلامية ولو قدر لها الاستمرار في النهج الذي اراده الله وبلغ به الرسول ﷺ لكان وضع الامة الاسلامية مختلفاً عما هو عليه في مسيرة تاريخ الامة الاسلامية على مختلف العصور.

لقد اجمعت الروايات التي تتصل باسباب النزول ان قوله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ (المائدة ٦٧). أمر من الله باعلان البيعة بإمرة المؤمنين للإمام علي بن ابي طالب عليه السلام إمام الملأ من المهاجرين والانصار[١].

لقد اتخذ الرسول قرار اعلان البيعة بعد منصرفه من حجة الوداع فجمع الناس في موضع بين مكة والمدينة يقال له (الجحفة) وقام فيهم خطيباً: **يا أيها الناس يوشك أن ادعى فاجيب وإني مسؤول وانكم مسؤولون، فماذا انت قائلون؟** قالوا: نشهد قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً، فقال: **أليس تشهدون ان لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وان ناره حق وان البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور.** قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: **اللهم فاشهد،** ثم قال: **ايها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من انفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**[٢].

حين نحاول قراءة هذا النص، نجد أن النبي ﷺ قد أخذ منهم الاعتراف بتبليغ الرسالة عن الله سبحانه وتعالى والجهاد في سبيله ثم اخذ منهم الاقرار بوحدانية الله سبحانه وتعالى من خلال الاقرار بالشهادتين ثم بين لهم ان الموت حق والبعث والنشور حق وهذه الامور كلها مما لا يختلف فيه المسلمون ثم بين لهم ولاية الامر من بعده وانها كولاية رسول الله ﷺ ليعلم المسلمون أن هذه الولاية حق مثل الامور التي تقدم ذكرها وهذه يعني ان الولاية من اصول الدين مثل التوحيد والنبوة وانها حق مثلما الجنة حق والنار حق والبعث حق وقيام الساعة حق[٣].

ان اعلان الرسول ﷺ للبيعة إمام الملأ من المهاجرين والانصار في يوم الغدير يمثل اكمال الرسالة واتمام النعمة، وقد اخبر الله سبحانه وتعالى عن هذا الامر بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وَما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة ٣).

بارك كثير من الصحابة والمؤمنين هذه البيعة التي اصبح الإمام عليه السلام بموجبها وصياً للرسول ﷺ وولي أمر المسلمين من بعده وسلم عليه كثير من الصحابة بالولاية وباركوا له فيها وقالوا له: «هنيئاً لك الامر لقد أصبحت مولى لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة». لكن هذا الامر لم يقدر له الاستمرار واختلف الناس بعد وفاة الرسول ﷺ وسارت الامور في غير الاتجاه الذي رسمه الرسول ﷺ. وحرصاً من الإمام عليه السلام على وحدة المسلمين وإتقاء الفتنة التي لا تصيب الظالمين خاصة صبر على ما حدث وفي الحلق شجا وفي العين قذى. صبر وهو يعرف انه صاحب

الحق ولكنه آثر على نفسه وحدة المسلمين وحقن دمائهم. لكن هذا لا يعني أنه لم يعبر عن حقه المهتضم وعن مكانته التي رتبها له الله ورسوله ﷺ فابعده الناس عنها ظلماً وعدواناً، ونجد مصداق ذلك فيما ورد في نهج البلاغة وهو كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تصريح وتلميح إلى هذا الحق، وما ورد من اشارات واضحة في طائفة من النصوص أوضح فيها الإمام عليه السلام انه واهل بيته عليهم السلام اصحاب الحق في وراثة الرسول ﷺ دون سائر البشر. وانهم الاولى في قيادة الامة الاسلامية من غيرهم ممن استولى على الامور وان صبرهم وسكوتهم ليس عن ضعف او خوف وانما هو حرص على وحدة الاسلام والمسلمين وحقناً للدماء.

محاور الارتكاز في اثبات البيعة

كتاب نهج البلاغة كلام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام جمعه الشريف الرضي، وقد اشار في مقدمته إلى عظمة هذا الكتاب وبيّن محاسنه قال: «انه يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لايوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب، اذ كان امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها ومنه ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى أمثلته حذا كل قائل وخطيب»(٤).

في هذا النص اشارة الى أن الإمام عليه السلام قد ضمن هذا الكتاب كثيراً من امور الدين والدنيا ولان هذا الكتاب باقسامه الثلاثة هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام عبر فيه عن كل ما يريد قوله مما يتصل بأمور الدين والدنيا والاخرة وما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية في عصره فلا شك أن التماس أدلة بيعة الغدير منه يعد من اول الادلة المؤكدة ثباتها ذلك أن هذه المسألة تتصل بالإمام عليه السلام نفسه شخصياً

وهو الذي يعبر عنها بنفسه هذا أولا، وثانياً ان الإمام عليه السلام شاهد على العصر فهو قد عاش الاحداث كلها ورافق مسيرتها وكان القطب الذي يدور حوله هذا الامر. وحين نحاول قراءة الاشارات التي وردت في كلامه عليه السلام مما يتصل بهذا الحدث التاريخي نجدها كثيرة وهي بطبيعتها تمثل احتجاجاً قوياً على ما جرى من امور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وهذه الاشارات منها ما جرى فيه القول تصريحاً ومنها ما جرى فيه القول تلميحاً إلى هذه البيعة وحق أمير المؤمنين عليه السلام فيها دون غيره، ولابد هذا الكلام ان يرتكز على قواعد واسس ثابته تبين حق الإمام عليه السلام في هذا الامر وانه خاص به دون غيره من الصحابة.

لذا نجد كلام الإمام يتمثل في ثلاثة محاور كشف الإمام عليه السلام من خلالها عن احتجاجه الشديد والصريح على ما حدث من أمور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله. ونستمد من تراكيب النصوص التي اشارت الى هذا الامر رفض الإمام عليه السلام القاطع لكل ما حدث في سقيفة بني ساعدة[٥].

وفيما يأتي قراءة تأويلية للنصوص التي اشار فيها الإمام إلى بيعة الغدير تلميحاً أو تصريحاً على على وفق المحاور او المرتكزات التي يتم تحديدها من خلال استقراء تلك النصوص ودراستها.

١) تأكيد فضل أهل البيت

وهو من أهم المرتكزات التي تحدث عنها الإمام عليه السلام في نهج البلاغة وهو يمثل ركناً اساسياً من اركان احتجاجه على ما جرى وما يجري من امور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ذلك أن تفضيل اهل البيت عليهم السلام عامة والإمام عليه السلام خاصة على لسان الرسول صلى الله عليه وآله يجعلهم اهل الحق في ولاية الامر باختيار الرسول صلى الله عليه وآله وتفضيله اياهم

على غيرهم من الصحابة، لقد اكد الرسول ﷺ مكانة اهل البيت عليهم السلام كما اكدها القرآن الكريم في اكثر من مورد، فالرسول ﷺ في حياته أوصى باهل بيته عليهم السلام وقرن بينهم وبين القرآن الذي هو كتاب الله ودستور الامة الاسلامية في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته، قال: ((**اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا**))[٦].

ان هذا الحديث يدل على ان القرآن وأهل بيت النبوة عليهم السلام بمنزلة واحدة عند الرسول ﷺ وفي مختلف العصور وعلى المسلمين جميعاً التمسك بهما معاً فلا انفصال بينهما حتى يردا على الرسول ﷺ لكن هذا الامر لم يحصل بعد وفاة الرسول ﷺ اذ جرى الفصل بينهما خلافاً لإرادة الرسول ﷺ.

وفي مورد آخر قال ﷺ للإمام علي عليه السلام ((**انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي**))[٧]. وفي هذا الحديث تكريم للإمام علي عليه السلام بمنزلة الأخوة التي هي طريق الولاية وفي ضوء ما ورد في القرآن فان هارون عليه السلام هو الذي استخلفه موسى عليه السلام على قومه حيث ذهب للقاء الرب، ومن هنا يجري الربط بين الاثنين في استحقاق ولاية الامر.

وهناك كثير مما قاله الرسول ﷺ في مكانة أهل بيته عليهم السلام وفي مكانة الإمام علي عليه السلام كما ورد في حديث الكساء وغيره وكله يؤكد المكانة العظيمة لاهل بين النبوة عليهم السلام ومعدن الرسالة وانهم ولاة امر المسلمين بعد الرسول ﷺ. وانطلاقاً من هذه المكانة التي اثبتها لهم رسول الله ﷺ والزم المسلمين الايمان بها ورعايتها ((**قل لا اسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى**)).

وفي ضوء هذه المعطيات يكون الإمام علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام اولى الناس بولاية الامر بعد الرسول ﷺ بحكم ما أوصى به الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ان

هو الا وحي يوحى. ومن هنا نجد الإمام عليه السلام في اكثر من مورد من كلامه يؤكد هذه المكانة ويبين فضل أهل البيت عليهم السلام قبل الاسلام وبعده ويحتج بهذه المكانة على من أنكر حقه الذي فرضه له الرسول صلى الله عليه وآله إمام الملأ من المسلمين في يوم الغدير حيث قال ((**من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**)). وحين نحاول قراءة النصوص التي ذكرها الإمام عليه السلام في نهج البلاغة مما يتصل بهذا الامر نكتشف ما وراء سطوره من اشارات إلى حق اهل البيت عليهم السلام في ولاية امور المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله يقول: ((**لا يقاس بآل محمد عليه السلام من هذه الامة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا، هم اساس الدين وعماد اليقين، اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة**))[٨].

بدأ النص بتفضيل آل محمد على سواهم من ابناء الامة وذلك من خلال استعمال اسلوب النفي (لا يقاس، لا يسوى) ذلك ان الجميع جرت عليهم نعمة الهداية بفضل هؤلاء فهم المنعمون على الجميع ثم جرى تأكيد أن هؤلاء هم اساس الدين وعماد اليقين وهذا يعني انهم يمثلون المرجعية في كل زمان ومكان ولذا جاء التخصيص من خلال تقديم اشباه الجمل (اليهم، بهم، لهم، فيهم) ان هذا التقديم له دلالة في حصر الامور بهم دون غيرهم من سائر الناس. فهم اصحاب حق الولاية واهله.

وفي نص آخر يقول ((**بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم ذروة العلياء، وبنا افجرتم عن السرار**))[٩]. الناظر الى هذا النص يجد انه بني على تقديم شبه الجملة ايضاً (بنا اهتديتم، بنا افجرتم) وهذا التقديم يمثل نوعاً من الاختصاص فهم الهداة في ظلمات الجهل دون سواهم وهم الطريق الى المجد وهو الاساس في ظهور الدين وهم النور الذي يمزق دياجي الظلام وفي تركيب آخر يوجه الإمام عليه السلام خطابه الى

الصحابة والمسلمين مشيراً الى الدور الكبير لاهل البيت عليهم السلام في حياة الامة الاسلامية بقوله عليه السلام: ((**فاين تذهبون، وانى تؤفكون، والاعلام قائمة، والآيات واضحة والمنار منصوبة، فاين يتاه بكم وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم وهم ازمة الحق واعلام الدين والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل القرآن، وردوهم ورود اليهم العطاش**))[١٠].

هذا النص يرسم لنا من خلال تراكيبه المختلفة اكثر من صورة فمن خلال الاستفهام الانكاري يصور الإمام عليه السلام حالة الاضطراب والتيه التي يعاني منه المسلمون ويبين ما فيه من حيرة وضلال، ثم ياتي جواب هذا التساؤل بان الاعلام واضحة والدلائل قائمة فلماذا انتم في هذه الحال من الضياع والحيرة وهو تساؤل آخر في النص يتضح من خلاله ان هناك من يدفع بهذا الاتجاه على الرغم من وضوح الطريق (فاين يتاه بكم؟ وكيف تعمهون؟) وهو استفهام مشوب بالتعجب.

من هذه الحال من التيه والضلال عن طريق الحق، ثم يبين الإمام عليه السلام وضوح الطريق لان بين ظهرانيهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام وهؤلاء هم طريق الهدى وسبيل النجاة والرشاد ثم يصفهم بانهم ((**ازمة الحق واعلام الهدى والسنة الصدق**)) وهذه الصفات التي ارتبطت مع بعضها بحرف العطف الواو الذي يفيد مطلق الجمع بين المتعاطفات[١١]، وحذف منها المبتدأ الذي هو الضمير (هم) ليكون التماسك قوياً بين هذه الاخبار التي تمثل صفات اهل البيت عليهم السلام فالبنية العميقة لهذه لتراكيب هي (هم أزمة الحق وهم اعلام الدين وهم السنة الصدق) لكن الإمام عليه السلام لم يكرر الضمير اكتفاءً بما ورد في اول تركيب وهو اسلوب يزداد فيه النص تماسكاً وارتباطاً بين مكوناته وكانها تركيب واحد وقد بنيت هذه التراكيب على نمط الجملة الاسمية لتدل على ثبات هذا الامر واستمراره في اهل بيت النبوة عليهم السلام.

وبعد هذه الصورة التي رسمها الإمام عليه السلام لاهل البيت عليهم السلام يأتي توجيهه لهؤلاء الناس لانقاذهم مما هم فيه من حيرة واضطراب فيأمرهم بالتمسك باهل البيت عليهم السلام وان ينزلوهم المنزل الذي يستحقونه فهم والقرآن صنوان، وان يتوجهوا اليهم بشوق ولهفة كما تتوجه الابل العطشى الى موارد الماء يقول عليه السلام: ((**وردوهم ورود الهيم العطاش**)). وهو تشبيه بليغ حذفت منه الاداة وأهل البيت عليهم السلام مورد عذب يهرع اليه الناس ليرووا عطشهم الديني والفكري والدنيوي والاخلاقي لانهم ورثة علم الرسول صلى الله عليه وآله وباب مدينته.

وفي نص آخر يقول عليه السلام ((**انظروا اهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله فالزموا سمتهم، واتبعوا اثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فان لبدوا فالبدوا وان نهضوافانهضوا، ولا تستبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا**))[١٢].

ان قراءة هذا النص تقودنا إلى أمرين هما:

١. ان هذا النص بني على التراكيب الفعلية في كل جملة وهذا يدل على حالة التجدد والاستمرار التي هي من دلالات التراكيب الفعلية[١٣]. وهذا يرشدنا إلى مسألة مهمة هي ان اهل البيت عليهم السلام هم الاولى بالاتباع في كل زمان ومكان لانهم طريق الهدى وسبيل الرشاد على مر الزمان.

٢. ان مسألة التمسك باهل البيت عليهم السلام وما ورد عنهم من آثار واجبة على المسلمين وهم مندوبون اليها ان لم تكن واجبة ويتضح هذا من صيغ الامر التي بدأ بها النص[١٤]. (انظروا، الزموا، اتبعوا) ثم يأتي تاكيد وذلك في جواب الشرط الذي بنى على صيغة الامر ايضاً (فان قاموا فاقيموا وان نهضوا فانهضوا) ومثل ذلك يدل عليه اسلوب النهي في آخر النص.

وفي نص آخر يقول ((**نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، محبنا وناصرنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة**))[١٥].

ان قراءة متأنية لهذا النص تكشف لنا أن ما ورد فيه يراد منه الدلالة على الثبات والدوام لانه بني على التراكيب الاسمية التي جاءت في اشد حالات التماسك والارتباط بعد حذف المبتدأ من هذه التراكيب والاكتفاء بذكر الاخبار متتابعة على المبتدأ الاول. وهذا يقودنا الى القول ان ماورد فيه يعد أمراً من المسلمات الثابتة ذلك ان اهل البيت عليهم السلام على اختلاف العصور والازمنة والامكنة هم شجرة النبوة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وهذه الامور لا يمكن لاحد ان يكون منافساً لهم فيها لانها خاصة بهم وفي هذا ايحاء بان ولاية امور المسلمين هي من حقهم دون غيرهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ما حدث فعلاً فيما قرره النبي نظرياً من الوصية وعقد الولاية للإمام عليه السلام على مرأى ومسمع من الصحابة في يوم الغدير وقد أمر المسلمين الالتزام بطاعته ونصرته وهذا ما اشار اليه الإمام عليه السلام في ختام نصه المتقدم وبناه على نوع من التقابل في الثنائية تقارن بين من اتبع امرهم واطاعهم وبين من عصاهم يقول: ((**فمحبنا وناصرنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة**)).

قابل الإمام عليه السلام بين محب وعدو وناصر ومبغض ورحمة وسطوة، ليثبت للمسلمين ان من ينكر هذا الحق ويتجاوز هذا الامر هو الخاسر في الدنيا والاخرة، ذلك انه يخالف امر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويتعارض مع ما اشار اليه القرآن ﴿**ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾. ولاشك ان هذا يلتقي مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم البيعة ((**اللهم انصر من نصره واخذل من خذله**)) انها اشارة دقيقة الى هذا الحق المستباح وفيها تذكير بما امر به الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي نص آخر يقول عليه السلام ((**اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً ان رفعنا الله ووضعهم، واعطانا وحرمهم، وادخلنا واخرجهم، بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الايمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم**))[١٦]. ان النظر في هذا النص ومحاولة الكشف عما يوحي به من دلالات يقودنا الى انه يخفى وراء سطوره اكثر من دلالة تعبر عنها التراكيب التي بني عليها:

١. ان هناك من يدعي الرسوخ في العلم وينافس اهل البيت عليهم السلام في مكانتهم العلمية التي وهبها الله لهم وما خصهم به من علم وحكمة وقيادة وشجاعة وصبر دون الاخرين، ويتضح هذا من خلال التساؤل الذي بدأ به الإمام عليه السلام النص ووصف ما يقوله هؤلاء بالزعم وهو الاقرب الى الكذب[١٧] ووصف ما ادعوه بانه بغي وظلم في حق اهل البيت عليهم السلام، وربما نتلمس من هذا اشارة الى ما ذهب اليه بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبابِ﴾ (آل عمران ٧)، ان المقصود بالراسخين في العلم هم اهل البيت عليهم السلام[١٨].

٢. ان هذا الزعم محكوم عليه بالفشل بارادة الله سبحانه وتعالى وقد صاغ الإمام عليه السلام هذه النتيجة على شكل متقابلات لغوية يتضح منها ان ارادة الله سبحانه تأبى ما يدعون وهذه متقابلات هي: (رفعنا = وضعهم ، اعطانا = حرمهم ، ادخلنا = اخرجهم). وحين تنظر الى هذه المتقابلات نجد انها تتألف من تراكيب فعلية تتحد في الفاعل الذي هو الله سبحانه وتعالى وتختلف في المفعول الذي

يعود في (رفعنا واعطانا وادخلنا) على أهل البيت عليهم السلام وفي (وضعهم وحرمهم وأخرجهم) على من ادعى الرسوخ في العلم ظلماً وبغياً وحاول مساوات اهل البيت عليهم السلام في مكانتهم وكانت النتيجة خسران الطرف المنافس بارادة الله في الدنيا والاخرة فقد وضعهم الله حين رفع اهل البيت عليهم السلام وحرمهم حين اعطى اهل البيت عليهم السلام واخرجهم حين ادخل اهل البيت عليهم السلام في ميدان رحمته وحذف المفعول في (اعطى وادخل) يدل على عظمة ما اعطاه الله لاهل بيت النبوة عليهم السلام وما ادخلهم فيه.

٣. في قول الإمام عليه السلام ((**بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى**)) قدم شبه الجملة (بنا) على الفعلين (يستعطى ويستجلى) للدلالة على الاختصاص والقصر فما جاء بعدها هو خاص ومقصور على اهل البيت عليهم السلام وهذا ما يسمى بالقصر من خلال التقديم كما في قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة ٥). وجاء الفعلان (يستعطى ويستجلى) بصيغة البناء للمجهول وفي هذا البناء ايحاء بالتكثير كما هو معروف في بناء الفعل للمجهول[١٩]. لان حذف الفاعل في مثل هذا النمط من التركيب يدل على ان اهل البيت عليهم السلام كلهم منار هداية فبأيهم اقتديتم اهتديتم ومن هنا جاء استعمال الإمام عليه السلام للافعال بصيغة البناء للمجهول بدلاً من البناء للمعلوم.

٤. في نهاية النص يؤكد الإمام عليه السلام كلامه باكثر من مؤكد ليدلل من خلال ذلك ان الولاية والإمامة حق خالص لاهل البيت عليهم السلام وهي خاصة بهم دون سواهم وان الامور لا تصلح إلا بهم فهم قادة الامة وهم اولوا الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أثبت ذلك لهم في حياته.

ان ما تقدم من نصوص لا يمثل استقصاء لكل ما ورد منها في نهج البلاغة وانما مبني على اختيار طائفة من هذه النصوص ومحاولة قراءتها والكشف عما فيها من دلالات تبين المكانة العظيمة لاهل بيت النبوة عليهم السلام ومعدن الرسالة ومن خلال اثبات هذه المكانة بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وما اشار اليه الإمام عليه السلام في نهج البلاغة نلمح ما اراد الإمام عليه السلام التعبير عنه من حقه في ولاية امور المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله ذلك ان هذا الامر ثابت بما ورد في القرآن الكريم وما أمر به الرسول صلى الله عليه وآله في بيعة الغدير ومما لاشك فيه ان ابعاد الإمام عليه السلام عن هذا الحق لا ينسجم مع ما اراده الله ورسوله صلى الله عليه وآله لذا نجده عليه السلام يذكر ذلك تلميحاً وتصريحاً في كثير من نصوص نهج البلاغة ومنها النصوص التي تقدم ذكرها والتي تمثل المرتكز الاول من مرتكزات هذا الامر.

٢) تأكيد أفضلية الإمام علي عليه السلام نفسه

هذا هو المرتكز الثاني الذي استند اليه الإمام عليه السلام فهو ربيب بين النبوة ورفيق درب النبي صلى الله عليه وآله في صراعه مع الشر وكانت له مواقف كبيرة في مسيرة الدعوة الاسلامية منذ نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وآله وكان من اوائل الذين امنوا بدين الاسلام وآزر الرسول صلى الله عليه وآله ووقف معه وهو حدث صغير السن[٢٠].

وقد اشارت كثير من المصادر التاريخية على اختلاف مذاهبها الى المكانة العظيمة لهذا الرجل وبينت مواقفه من نشر الدين الاسلامي والدفاع عنه[٢١]. وكان من اشد الناس التصاقاً بالرسول صلى الله عليه وآله وقد جعله الرسول صلى الله عليه وآله وصياً له بقوله: ((**انت اخي ووصي ووزيري ووراثي وخليفتي من بعدي**))[٢٢]. كان الإمام علي عليه السلام اول فدائي في الاسلام حين نذر نفسه للمبيت في فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة الهجرة من مكة الى المدينة

وكان هو القائم مقام الرسول ﷺ في رد الامانات وقضاء الديون وحمل الفواطم الى المدينة ولم يأتمن الرسول احداً غيره(٢٣).

وكان له عليه السلام قدم صدق في كل المعارك التي خاضها الرسول ﷺ مع المشركين واليهود وغيرهم من اعداء الدين الاسلامي. واذا اردنا ان نعرف عظمة مكانته عليه السلام عند الله ورسوله نقتطف شيئاً مما ذكرته المصادر في حقه عليه السلام وما قاله الرسول ﷺ فيه.

ان علي بن ابي طالب كان حامل لواء النبي ﷺ وقائد جيشه وكان له من الشجاعة ما يجعله نداً لصناديد العرب وفرسانها وقد اخذ عن الرسول ﷺ علمه بالقرآن والسنن والاحكام والشرائع وقد نقل عن الرسول ﷺ قوله: ((**أنا مدينة العلم وعلي بابها**))(٢٤)، ويعبر الإمام عليه السلام عن هذا بقوله ((**علمني رسول الله الف باب من العلم ينفتح لي من كل باب الف باب**)) وكان يردد على المنبر ((**سلوني قبل ان تفقدوني**)).

وقال رسول الله ﷺ: ((**يا علي انت مني بمنزلة هارون من موسى الا ان لا نبي بعدي**))(٢٥). وفي هذا الحديث ما فيه من ايحاء بولاية امير المؤمنين عليه السلام بحكم الاخوة في كل شيء باستثناء النبوة. وكان الرسول ﷺ يقول ((**انا وعلي من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى**))(٢٦).

وفي معركة الخندق حين برز الإمام عليه السلام الى عمرو بن ود العامري قال رسول الله ﷺ ((**برز الايمان كله الى الشرك كله**)) وحين قتله الإمام علي عليه السلام قال رسول الله ﷺ ((**ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين**))(٢٧)، وفي غزوة خيبر قال الرسول ﷺ ((**سأعطي الراية غداً الى رجل يحب لله ورسوله ويحبه الله ورسوله**))(٢٨). هذا غيض من فيض مما قيل في مكانة الإمام علي عليه السلام عند الله ورسوله.

واذا استطال الشيء قـــــام بنفسه ومديح ضوء الشمس يذهب باطلا

ان هذه المكانة كما ذكرت تمثل المرتكز الثاني من مرتكزات الاحتجاج عند الإمام علي عليه السلام كما ذكرت وقد اعتمده الإمام عليه السلام في التعبير عن حقه في كثير من كلامه عليه السلام في نهج البلاغة واشار من خلالها الى هذا الحق تلميحاً او تصريحاً ويمكن ان نستقري ذلك في عدد من النصوص التي ذكرها الإمام عليه السلام في نهج البلاغة مشيراً من خلالها إلى مكانته العظيمة وفضله، ومن ذلك يقول عليه السلام ((**اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها، ما عجزت ولا جبنت، وان مسيري هذا لمثلها فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه**))[٢٩].

إن قراءة هذا النص تحدد لنا المكانة العظيمة التي كان الإمام عليه السلام يتمتع بها. بدأ النص بالقسم المؤكد ليكون ما بعده حقيقة ثباته لا يتطرق اليها الشك. ذلك ان الإمام عليه السلام كما هو معروف من الطلائع الاولى التي ارست اركان الدين الاسلامي وهو ممن لم تضعف عزيمته ولم يتردد في التضحية بنفسه دفاعاً عن الرسول صلى الله عليه وآله والدعوة الاسلامية، وهو مستمر في هذ المنهج في الدفاع عن الحق وضرب الباطل كما بدأه في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، وفي نص آخر يقول عليه السلام: ((**ولكني اضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب حتى يأتي علي يومي، فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا**))[٣٠]. من قراءة النص تبرز إمامنا مسألتان.

الاولى: ان المستقر في فكر الإمام عليه السلام واسلوب قيادته هو احقاق الحق ورد الباطل مهما كانت النتيجة وان قل اتباع الحق وكثر اتباع الباطل لان في ذلك رضا الله وهو ما ينشده الإمام عليه السلام علي في كل اعماله. لذا نجده بنى النص بعد الاستدراك على متقابلات دلالية هي: (المقبل على الحق = المدبر عنه، السامع المطيع = العاصي

المريب). والهدف من هذا ان هناك تقابلاً بين الحق والباطل في كل عصر وان الإمام عليه السلام حريص على احقاق الحق وضرب بالباطل.

الثانية: الاشارة الى ان هناك حقاً مغتصباً هو حق الإمام عليه السلام في ولاية الامر بعد الرسول صلى الله عليه وآله ولكنه ما زال مدفوعاً عن هذا الحق ومستأثراً به عليه وليس سكوته عن ذلك ضعفاً او خوفاً وانما اتقاء الفتنة التي ظل ينهى عنها في حياته كلها حتى يوم استشهاده عليه السلام. وهو ما يشير اليه في نص يقول فيه: ((**فنظرت فاذا ليسلي معين الا اهل بيتي فضننت بهم عن الموت واغضيت على القذى وشربت على الشجا وصبرت على أخذ الكظم، وعلى امر من طعم العلقم**))[٣١].

ان هذا النص يشير بدقة الى مقدار الالم الذي تحمله الإمام عليه السلام بسبب ما جرى من الاستئثار بما هو حق له وابعاده عن المكانة التي حددها له الرسول صلى الله عليه وآله وقد صاغ تراكيب هذا النص بالبنية الفعلية التي تعبر عن التجدد والحدوث لترسم لنا الحالة التي وجد الإمام عليه السلام نفسه فيها من دون ان يجد من يقف معه سوى اهل بيته عليهم السلام (غضيت على القذى، شربت على الشجا، صبرت على اخذ الكظم) ان هذه التراكيب ترسم لنا صورة حقيقة لمعاناة الإمام عليه السلام وهو يرى حقه مغتصبا مستأثراً به غيره ولكنه مع ذلك يلوذ بالصبر ويتجرع العلقم حقناً للدماء واتقاءً للفتنة وان كان ذلك ليس سهلاً.

وفي نص آخر يشير عليه السلام الى مكانته وقدرته في حسم الامور مهما كانت: ((**فقمت في الامر حين فشلوا وتطلعت حين تقبعوا واستبددت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل في مغمز اتراني اكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله والله لأنا أول من صدقه فلا أكون اول من كذب عليه، فنظرت في امري فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي، واذا الميثاق في عنقي لغيري**))[٣٢].

إن قراءة هذا النص ترشدنا الى امور منها:

١. ان الإمام علي عليه السلام ذكر فضائله بنفسه لم يصفه بها احد ولم ينسبها إليه مؤرخ او باحث وانما وردت على لسانه في كتابه نهج البلاغة وقد اوضح فيها انه اول من حمل راية الاسلام ودافع عنها حين تردد الآخرون واحجموا عن الاقدام وهو الذي برز ظاهراً إمام الملأ حين اختبأ الاخرون وتخاذلوا واختفوا من الميدان وهو الذي نطق بالحق صادحاً حين تلجلج الكلام في افواه الاخرين وخرست السنتهم، وهو الذي تقدم حين توقف الاخرون. لقد بني الإمام عليه السلام اسلوبه على المقارنة بينه وبين غيره من الصحابة ليصل الى نتيجة مفادها انه المقدم في كل الميادين وقد اجتمعت فيه هذه الصفات دون غيره.

٢. انه عليه السلام من خلال هذه الصفات قد كسب الرهان وحقق النصر للدين الاسلامي على اعدائه من اهل الكفر والجهل والضلال وانه عليه السلام بقي صامدا كالجبل الاشم الذي لا تحركه العواصف مهما كانت قوتها مشيراً إلى ما حدث من فتن.

٣. انه عليه السلام قدم للدين كل شيء ولم يكن في مسيرته مغمز ومطعن لاحد فهو أمير المؤمنين وهو مع الحق والحق معه وكانت سيرته عليه السلام مثلاً يقتدى به في الزهد والنزاهة والابتعاد عن مطامع الدنيا وهو ما عبر عنه كثيراً في خطابه.

٤. انه عليه السلام كان اول من صدق الرسول صلى الله عليه وآله في دعوته فله السبق في الايمان وانه السيد المطاع في كل زمان ومكان سواء اكان في الخلافة او قبلها.

ان ما تقدم ذكره يمثل انموذجاً من الاشارات التي ذكرها الإمام عليه السلام في نهج البلاغة وهي تبين المكانة العظيمة لهذا الرجل وماله من فضل ومواقف مشهودة في خدمة الدين الاسلامي والدفاع عنه وارساء قواعده سواء اكان ذلك في ميدان

الحرب والقتال ام في ميدان العلم والشريعة فلولا سيف علي عليه السلام لما استقام عود الاسلام ولولا شجاعة علي عليه السلام لما ستطاع المسلمون الوقوف بوجه الهجمات الشرسة من اعدائهم.

٣) التصريح بحقه بالولاية

الإمام علي عليه السلام كان عارفاً بحقه في ولاية الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو امر ورد في القرآن الكريم وبلغ به الرسول صلى الله عليه وآله اصحابه من المهاجرين والانصار في يوم الغدير وسمعوا كلهم نداء الرسول صلى الله عليه وآله ((**من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم انصر من نصره واخذل من خذله**)) هذه الامور كان الإمام عليه السلام على علم بها كلها. والصحابة جميعاً كانوا يعرفون ذلك والمهاجرون والانصار كانوا على علم بما جرى في غدير خم. لكن الامور تغيرت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وبلغ به حياته، وحين ادرك الإمام عليه السلام ما جرى في سقيفة بني ساعدة اراد استكشاف مادار من حوار في ذلك المكان بين المهاجرين والانصار حول هذا الامر ولذا سأل: **ما قالت الانصار؟** قالوا: قالت: منا امير ومنكم امير، قال عليه السلام: **فهلا احتججتم عليهم بان الرسول صلى الله عليه وآله اوصى بان يحسن الى محاسنهم ويتجاوز عن مسيئهم**، قالوا: وما في ذلك من الحجة عليهم؟ قال عليه السلام: **لو كانت الإمامة لهم لم تكن الوصية بهم**، ثم قال: **وماذا قالت قريش؟** قالوا: احتجت بانها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: **احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة**[٣٣].

وهذا التركيب على الرغم من قلة الالفاظ التي تألف منها الا انه يحمل في بنائه معاني كثيرة لها صلة وثيقة بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله في حق اهل بيته عليهم السلام وبني هذا النص على التركيب الفعلي ليدل على الحدوث والاستمرار وهذا يعني ان حالة

الخلاف سوف تكون مستمرة في كل عصر وزمان وان الاحتجاج بالبعيد واضاعة القريب سوف تبقى، ومن هذا النص تنطلق اشارة واضحة وصريحة الى حق الإمام علي عليه السلام في ولاية امور المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله ذلك انه واهل بيته عليهم السلام يمثلون الثمرة من شجرة قريش التي احتج بها المهاجرون على الانصار لانهم اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وكان الرسول صلى الله عليه وآله يوصي بهم في كل محفل ويقرن بينهم وبين القرآن ((**اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي**))[٣٤]، وهم من عهد اليهم بولاية الامر في حياته وقد تقدمت الاشارة الى ما بلغ به الرسول صلى الله عليه وآله بعد حجة الوداع في غدير خم على مرأى ومسمع الصحابة جميعاً من المهاجرين والانصار.

ومن هنا تتضح لنا دلالة قوله (اضاعوا الثمرة) فهو يشير الى الانحراف الذي حصل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله اذا لم يلتزم كثير من الصحابة بوصية الرسول صلى الله عليه وآله وعملوا على اغتصاب الحق الذي قرره الرسول صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام من بعده في ولاية الامر. لكن الإمام عليه السلام اعرض عن ذلك اتقاءً للفتنة التي لو حدثت لا تصيب الذين ظلموا خاصة وانما تعم جميع المسلمين ويكون الدين الاسلامي في خطر.

ويبدو الامر اكثر وضوحاً في نص آخر ورد في نهج البلاغة ايضاً يقول الإمام عليه السلام ((**أما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحا، ينحدر عني السيل، ولا يرقى الي الطير فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحا، وطفقت ارتئي ان اصول بيد جذاء أو اصبر على طحية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير**))[٣٥] الناظر في هذا النص يجد فيه اشارات واضحة الى امور هي:

١. ان الإمام اطلق قولاً صريحاً بان حقه في ولاية امر المسلمين قد اغتصبه غيره من دون وجه حق وهو يعرف جيداً ان هذا الامر هو حق خالص للإمام عليه السلام بوصية من الرسول صلى الله عليه وآله ويبدو هذا واضحاً بقوله ((**اما والله لقد تقمصها**

فلان)) وفي هذا القول اشارة الى الاول ويعني اتخذها قميصاً وفيه كناية عن الاستيلاء على الامر من دون وجه حق مع علمه انها ليست له.

٢. ان من استولى على الامر يعرف حق الإمام في هذا الامر بصورة لا شك فيها ويعرف انه امر قرره الرسول ﷺ في حياته ويعرف جيداً مكانة الإمام عليه السلام من هذا الامر لذا جاء كلام الإمام عليه السلام وهو مشحون بمؤكدات لغوية تبين حقه في هذا الامر دون غيره يقوله عليه السلام ((**وانه ليعلم ان محلي منه محل القطب من الرحا ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير**)). لقد استعمل الإمام عليه السلام في هذا التركيب اكثر من مؤكد، القسم، إن، اللام.

٣. ان الامور لا تصلح الا بوجود الإمام علي عليه السلام فهو يحدد مكانه من هذا الامر ويصفه بانه محل القطب من الرحى وهذ يعني ان امور الدولة الاسلامية لا يمكن ان تسير في طريق الصواب ولا تستمر بما يرضى الله ورسوله ﷺ من دون الإمام عليه السلام كما ان الرحى لا يمكن ان تعمل وتؤدي مهمتها من دون القطب الذي يضبط حركتها ويسدد دورانها. ومن هنا نجد ان الذين تولوا امور المسلمين من الصحابة قبل الإمام علي عليه السلام لم يستطيعوا ادارة امور الدولة والدين من دون الاستعانة به في كل معضلة حتى قيل «قضية ولا ابا حسن بها»[٣٦]. وكان الثاني يردد في كثير من المواقف «لولا علي لهلك عمر»[٣٧]. وهذا يعني ان الرجل كان يستشيره في كثير من الامور التي تهم المسلمين وكان الإمام عليه السلام يسدي اليه النصح ويرشده الى ما فيه الصواب.

٤. ان الإمام عليه السلام بالرغم من معرفته بحقه المغتصب ومن اغتصبه الا انه اسدل دونه ستراً وطوى عنها كشحاً وذلك لانه لا يريد الفتنة ولا سفك الدماء بين المسلمين.

٥. ان الإمام عليه السلام وجد نفسه بين موقفين كلاهما صعب، فهو اما ان ينهض لاستعادة حقه المغتصب بالقوة وفي هذا فتنة كبيرة تعصف بدولة الاسلام وتمزقها وهو ما لا يريده الرسول صلى الله عليه وآله ولا الإمام عليه السلام نفسه. واما ان يصبر على مرارة ما حدث والصبر مما اوصى الله به في المواقف الصعبة، وهكذا كان فقد صبر الإمام عليه السلام على طخية عمياء واسدل دون الامر ستراً اغمض عنها عيناً حفاظاً على وحدة الاسلام ودين الرسول صلى الله عليه وآله.

وفي نص آخر يصرح الإمام عليه السلام بان حقه قد اغتصب وان تراثه قد نهب يقول: **((فرأيت ان الصبر على هاتا أحجا فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده...**

شتان ما يومى على كورها ويوم حيان اخي جابـــر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لاخر بعد وفاته))[٣٨].

النص الذي تقدم ذكره فيه اشارة صريحة الى ان هناك حقاً مغتصباً وان هناك حمى مستباحاً وميراثاً له استولى عليه الغير لكنه فضل الصبر على ما فيه من مرارة على اشعال فتنة لا تنطفئ نارها وفيها من الخطر على الدين الاسلامي والامة الاسلامية ما لا تحمد عقباه، وهذه هي اخلاق اهل البيت عليهم السلام التي سادوا بها العالم وملكوا بها القلوب وقد عبر الإمام عليه السلام عن هذا الحال من الصبر بقوله **((فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا))**.وهذا القول يوحي لنا ان هذا الصبر كان على مضض كبير وألم لا يحتمل دفع اليه اتقاء الفتنة التي قد تعصف بالدين الاسلامي.

اشارة الإمام عليه السلام في بداية النص الى العهد الذي قطعه الاول وهذه الاشارة مقترنة بالتعجب من الحال فالاول كان يستقلها في حياته يعني انه يريد الاستقالة منها لكن هذا الامر تغير عند وفاته فقد عهد بها لآخر غيره على الرغم من انه يعرف

الحق واهله. وياتي احتجاجه عليه السلام ببيت الاعشى لبيان الفرق بين الحالين من خلال استعمال اسم الفعل (شتان) الذي يعني افترق وفي ذلك اشارة الى ان هذه الحال سوف تبقى على هذه الوتيرة ولا تتغير وهذا يعني استمرار الظلم واهتضام الحقوق وهو ما جرى فعلاً على مر العصور.

وفي كتاب له عليه السلام الى معاوية يقول ((**فاسلامنا قد سمع وجاهليتنا لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله تعالى** ﴿وَأُولُوا الأَرْحام بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾ **وقوله تعالى** ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **فنحن تارةً أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله** صلى الله عليه وآله **فلجوا عليهم فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم**))[٣٩]. هذا النص مقتطع من كتاب ارسله الإمام عليه السلام الى معاوية رداً على كتاب منه الى الإمام عليه السلام ذكر فيه علاقة الإمام عليه السلام مع الذين سبقوه في ولاية امر المسلمين.

وحين ننعم النظر في قراءة هذا النص نجد فيه اكثر من اشارة صريحة وفيه تذكير بحق الإمام عليه السلام بامرة المؤمنين استناداً الى طائفة من الحقائق تتصل بمكانته واهل بيته عليهم السلام في الجاهلية والاسلام فضلاً عما اوصى به الرسول صلى الله عليه وآله في غدير خم وما نزل به القرآن الكريم، وتمثل هذه الاشارات بما يأتي:

١. ان معاوية كان يعرف مكانة بني هاشم في عصر ما قبل الاسلام فهم سادة قريش وسادة البطحاء بلا منازع وهم اولياء امر البيت الحرام وكانت لهم مكانة عظيمة بين العرب في الجزيرة وحين قال الإمام عليه السلام (**جاهليتنا لا تدفع**) انما هو نوع من التذكير بامر معروف ومستقر عند العرب جميعاً ومن بينهم بنو أمية الذين ينتسب اليهم معاوية.

٢. ان الإمام علي عليه السلام اول من صدق الرسول صلى الله عليه وآله وآمن به حين دعا اهل بيته عليهم السلام وهو صغير السن وهي مسألة معروفة عند المسلمين فهو أول القوم أسلاماً واكثرهم جهاداً في سبيل الله واقربهم رحماً من رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه الامور كلها تجعله احق الناس بهذا الامر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وهو ما قرره له الرسول صلى الله عليه وآله واثبته إمام الملأ من المهاجرين والانصار وما صبره حين اغتصب منه هذا الحق الا من أجل وحدة الاسلام واتقاء فتنة عمياء تعصف بالدين والدولة.

٣. الاحتجاج بقوله تعالى ﴿وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾ (الانفال ٧٥) فيه اشارة الى صلة الرحم التي تربط بين الإمام عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله فهو ابن عمه واخوه وزوج ابنته وبحكم هذا فهو الاولى بميراث النبي صلى الله عليه وآله الديني والدنيوي وهو حامل علمه ووصيه الذي اوصى به بعد موته في حجة الوداع. وفي ضوء هذا فهو الاولى باستكمال مسيرة الرسول صلى الله عليه وآله في ولاية امور الامة الاسلامية، ولا يجوز ان يكون ميراث النبي صلى الله عليه وآله لآخر ليس بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله صلة رحم، لذا نجده عليه السلام يؤكد هذا بقوله ((**نحن مرة اولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة**)) وذلك لانهم رهط النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته عليه السلام وهم اولى به من غيرهم وطاعتهم واجبة مثل طاعة الرسول صلى الله عليه وآله.

٤. وما حدث في سقيفة بني ساعدة حيث اجتمع المهاجرون والانصار بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله واراد لانصار ان يكون لهم نصيب في الحكم والامارة على المسلمين ردهم المهاجرون بانهم شجرة الرسول وان رسول الله صلى الله عليه وآله منهم وهم احق بولاية الامر بعده من غيرهم، ولم يجد الانصار سبيلاً لرد هذا الاحتجاج وتقبلوا الامر لان المهاجرين من قريش ورسول الله صلى الله عليه وآله منهم ومعلوم المهاجرون حققوا هذا الفوز برسول الله صلى الله عليه وآله وانتمائه اليهم فان أهل بيته عليهم السلام هم اولى به وليس غيرهم

لذا اشار الإمام عليه السلام في نص سابق الى هذا بقوله ((**احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة**)) ومن هنا يأتي قوله عليه السلام ((**ان كنتم اخذتم هذا برسول الله فالحق لنا دونكم**)).

ان ما تقدم من قراءة الطائفة من نصوص نهج البلاغة التي تتصل ببيعة الغدير ترشدنا الى النتائج الآتية:

١. ان بيعة الغدير حدث تاريخي كبير ومنعطف في مسيرة الدين لاسلامي والامة الاسلامية جاء بأمر من الله سبحانه وتعالى ونزل به القرآن ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ وبسبب من هذا اتخذ النبي صلى الله عليه وآله قراره في ابلاغ المسلمين من المهاجرين والانصار ما امر به الله في غدير خم بعد حجة الوداع وبهذا التبليغ اكتمل الدين بقوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وَما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة ٣). وإكمال الدين يعني ان هناك من يتولى امر الامة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بعهد منه في حياته وهذا ما حصل في بيعة الغدير.

٢. ان بيعة الغدير لم تكن سراً ولم ينقلها الناس عن الرسول صلى الله عليه وآله رواية وانما حدثت بامر من الرسول صلى الله عليه وآله نفسه في مكان معروف هو غدير خم بين مكة والمدينة وقد جمع الناس في هذا المكان وخطب فيهم خطبته المعروفة بعد حجة الوداع

واعلن فيها العهد للإمام علي عليه السلام بعده على مرأى ومسمع من الصحابة من المهاجرين والانصار ((**من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه وعاد من عاداه ونصر من نصره واخذل من خذله**)) وهذه الخطبة مروية في مصادر الفريقين في تراث الرسول صلى الله عليه وآله وفيها اعلان بتنصيب الإمام عليه السلام وصياً لله ورسوله.

٣. ان ما ورد من نصوص تتصل بولاية الإمام عليه السلام في نهج البلاغة وقد تقدمت الاشارة الى طائفة منها تؤكد ان الإمام عليه السلام قد اشار إلى هذه البيعة وحقه في الولاية سواء اكان ذلك تلميحاً ام تصريحاً، وهذه النصوص تمثل مصدراً اصيلاً يؤرخ لهذا الامر لأنه من كلام الإمام عليه السلام نفسه ولم ينقل عنه رواية او سماعاً.

٤. ان الإمام عليه السلام عبر في اكثر من موضع عن استعانته بالصبر على ما حدث من انقلاب على وصية الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته وان هذا الصبر كان مراً وقاسياً ولكنه احتمله حتى لا يكون فتنة وتشق عصا المسلمين ولم يكن هذا الصبر والاعراض عن حقه نتاجاً عن ضعف أو تردد وانما مثل جانباً من جوانب كظم الغيظ الذي هو صفة من صفات اهل البيت عليهم السلام.

٥. ان النصوص التي وردت في نهج البلاغة كلها تمثل شاهد عصر لما جرى من احداث في زمن الرسول والصحابة لان هذه النصوص قد صدرت عن الإمام علي عليه السلام نفسه وقد عبر بها عن الافكار التي كان يراها في قضية ولاية الامر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وبين من خلالها طبيعة الموقف الذي اتخذه مما جرى من احداث في سقيفة بني ساعدة، وهذه النصوص تمثل اقدم وثيقة وردت فيها الاشارة الى بيعة الإمام عليه السلام في يوم الغدير بعد حديث الرسول صلى الله عليه وآله وكل كتب

التاريخ ومصادره التي ذكرت الحادثة فيما بعد قد استمدت معلوماتها من هذه النصوص.

٦. ان ما ورد في هذا البحث يمثل جهد المقل اردت من خلاله الكشف عما ورد في نهج البلاغة من نصوص تحدث فيها الإمام عليه السلام عن حقه في ولاية الامر بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

---

١. ينظر مجمع البيان ٣/ ١٥٢ والتبيان ٣/ ٣٢٥.
٢. علي إمام الامم ١/ ٣٢٥.
٣. المصدر نفسه ١/ ٣١٥.
٤. نهج البلاغة / ٨.
٥. مروج الذهب ٣ / ١١.
٦. الكافي ١/ ٣٢٧ سنن الترمذي ٥/ ٣٢٩.
٧. صحيح مسلم ٤/ ٣١١.
٨. نهج البلاغة / ٢٥.
٩. نهج البلاغة / ٣٠.
١٠. نهج البلاغة / ١٣٠.
١١. مكي اللبيب ١ / ٢١٨.
١٢. نهج البلاغة / ١٦٢.
١٣. دلائل الاعجاز / ٢١٧.
١٤. البحث النحوي عند الاصوليين / ١١٣.
١٥. نهج البلاغة / ١٨٦.
١٦. نهج البلاغة / ٢٣١.
١٧. شرح بن عقيل ٢ / ٢٦٤.
١٨. التبيان ٢/ ٤٣٢ ومجمع البيان: ٣/ ٥٦٢
١٩. ١٩ في علم دلالة النص / قصدية الحذف / ٦٣.
٢٠. على إمام الامم ١ / ١٩٧.
٢١. الكامل في التاريخ ٤ / ١٥٣. مروج الذهب ٣ / ١٨٥.

٢٢. علي إمام الامم ١ / ١٦.
٢٣. المصدر نفسه ١ / ١٧.
٢٤. صحيح البخاري ٦ / ٧٢٥.
٢٥. بحار الانوار ٧ / ١٩٧.
٢٦. الكافي ٨/ ١٤٧.
٢٧. الكافي ٧ / ١٣٢.
٢٨. المصدر نفسه.
٢٩. نهج البلاغة / ٦٦.
٣٠. نهج البلاغة / ٣٣.
٣١. نهج البلاغة / ٥٣.
٣٢. نهد البلاغة / ٧٣.
٣٣. نهج البلاغة / ٩٧.
٣٤. نهج البلاغة / ٩٧.
٣٥. نهج البلاغة / ٢٧.
٣٦. شرح ابن عقيل ٢/ ٣٢٠.
٣٧. مروج الذهب ٣ / ٤٩.
٣٨. نهج البلاغة / ٢٦.
٣٩. نهج لبلاغة / ٤٥٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. بحار الانوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، دار احياء التراث العربي ١٩٨٣.

٢. البحث النحوي عند الاصوليين، السيد مصطفى جمال الدين، دار الحرية للطباعة دار الرشيد للنشر ١٩٨٠.

٣. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، تحقيق احمد قصير العاملي، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي١٤٠٩هـ.

٤. دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٩٢م.

٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر بيروت١٩٨٣.

٦. شرح ابن عقيل، ابن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١٦، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٧٤.

٧. صحيح البخاري، ابو عبد الله البخاري، تقديم احمد محمد شاكر، دار ابن الهيثم القاهرة ٢٠٠٤.

٨. صحيح مسلم، البو الحسن مسلم بن الحجاج، مكتبة الصفا، القاهرة مطابع دار البيان الحديثة ٢٠٠٤.

٩. علي إمام الامم، محمد سعيد الطريحي، المكتبة الملكية لاهاي ٢٠١٢.

١٠. في علم دلالة النص، د. محمد جعفر العارضي، تموز للطباعة والنشر دمشق ٢٠١٢.

١١. الكافي، الشيخ الكليني، تحقيق علي اكبر الغفاري، الكتب الاسلامية، ط٤ ١٣٦٥هـ.

١٢. الكامل في التاريخ، ابن الاثير، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ١٩٨٧.

١٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، ابو علي الطبرسي مؤسسة النشر الاسلامي د.ت.

١٤. مروج الذهب، المسعودي، المكتبة العصرية، بيروت – د.ت.

١٥. مغني اللبيب، ابن هشام الانصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت – د.ت.

١٦. نهج البلاغة، الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام جمعه الشريف الرضي، قم انصاريان ١٤٢٥هـ.